



LittleHacker@vip.cn

يظنه البعض سيناريو خاصاً بحمص..!! وخاصة أولئك الذين ينظرون إلى الحدث في أنه منقطعاً عن ظروفه التي دعت إليه، بل ويسارع البعض ليعتبره مجرد خطأ ثوري علينا أن نتعلم منه لكي لا يتكرر . ولقد تلقى سابقاً أهل حمص وأمثالهم _ فوق ما هم فيه _ كثيراً من الهمزات واللمزات حول أسباب حملهم السلاح إلى أن وجدت أغلب المحافظات الأخرى الحاجة الملحة التي دعت إلى حمله!!

وهذا السيناريو الذي يخشون من مثلهاليوم هو ما يتربّد على صفحات البعض من مخاطر التمرس في المدن والذي من شأنه أن يلحق الدمار بها ويدعو أهلها إلى التشرد والنزوح كما حدث لكثير من المحافظات وأكثرها حمص ..

والغريب أن مثل هؤلاء يغفلون بينما هم ينشرون تخوفاتهم مما يعرفه كل العالم من أن أسلوب التدمير الوحشي والنزوح لم يقتصر اليوم على حمص فحسب بل توسيع ليشمل عشرات من البلدات مما يدعو هؤلاء لمزيد من الدراسة والنظر في أسباب ذلك وخصوصاً إن كانوا من رموز الثورة أو في موقع قيادية في صفحات الثورة أو صفوف المعارضة..

لا أريد التحدثاليوم عن سبب حمل السلاح فلقد توسيعُ في توضيجه في مقالة سابقة بعنوان (لماذا تسلحتم) ، لكنني أحارّل أن أوضح بعض الأسباب التي أرغمت أهل حمص على التمرّكز فيها وعدم الخروج منها وتسليمها رغم الدمار والدماء والنزوح والتشرد . لكنني قبل كل ذلك أريد أن أذكر الجميع أن الحرب التي تخوضها البلاد ليست مع عقلاً يمكن لأحد التكهن بما يمكن أن يقوموا به بل إننا في حرب مع وحوش بكل ما للكلمة من معنى .. وحوش لا يقيّمون وزناً لأي قيم

أو آلام أو مشاعر أو دماء أو دمار .. وحين كان الرصاص يخترق رؤوس شبابنا لم يكن أحد يظن أن هذا النظام سيبلغ به الجرم ليرسل صواريχه وبكل حنق وحقد إلى أملاك وبيوت الناس ويحولها إلى كومات من الحجارة ويرسل شبيحته إلى الحرارات التي نزح أهلها ليسرقوا ما فيها حتى إذا لم يبق فيها إلا الذكريات ، أخرجوا ما معهم من أدوات الإحرق وجعلوا البيت كتلة من النيران مط比قين بذلك مقولتهم التي يقدسونها عن الأسد أو إحراق البلد..

وحينما ارتجت حمص أول مرة وكان الصاروخ الأول الذي تلقاه بابا عمرو بصدرها ... ووقفت حمص كلها وهي تنصلت إلى قوة الانفجار ذاهلة غاضبة.. لم تكن تظن بذلك الوحش الأرعن أن يصل التجبر به وبداعميـه إلى هذا المستوى.. ولكن لم يكن من خيار فلقد كانت الثورة بأمس الحاجة إلى الصمود والتضحية فأثر أهل بابا عمرو الكرام دمار بيـوتـهم وتشريد أهـالـيـهم ونزف دمائـهم على أن تخمد تحت ذلك القصف جذوة الثورة ويظلم الأمل في قلوب الأجيـال .. ارتجـت أرضـ حـمـصـ أـيـاماً وأـيـاماً وأـبـنـاؤـهـاـ فيـ بـابـاـ عـمـرـوـ صـامـدـونـ وـطـالـ الـأـمـدـ وـاشـتـدـ الـظـرـوـفـ وـقـسـتـ ... وـنـاشـدـتـ بـابـاـ عـمـرـوـ أـهـلـ سـورـيـةـ أـنـيـ أـقـصـ وـنـادـتـ الـعـالـمـ أـنـيـ أـدـمـرـ ... وـأـرـسـلـتـ الصـورـ وـالـتـقـارـيرـ أـنـيـ أـمـسـحـ مـنـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ .. وـلـكـ ذـلـكـ الصـوـتـ لـامـسـ الـأـسـمـاعـ وـلـمـ تـرـجـ لـهـ الـقـلـوبـ كـمـ كـانـ الـأـرـضـ تـرـجـ بـانـفـجـارـاتـ الصـوـارـيـخـ الـتـيـ تـخـرـقـ سـقـفـ الـبـيـوتـ وـتـحـولـهاـ إـلـىـ رـكـامـ .. اـنـتـهـتـ تـلـكـ المـعـرـكـةـ بـاـنـسـحـابـ جـمـيعـ الـبـشـرـ مـنـ بـابـاـ عـمـرـوـ وـهـدـأـتـ حـمـصـ لـأـيـامـ وـكـانـ النـظـامـ يـظـنـ أـنـ مـعـرـكـتـهـ مـعـ الـثـوـرـةـ السـوـرـيـةـ اـنـتـهـتـ بـاـنـتـهـاءـ مـعـرـكـةـ بـابـاـ عـمـرـوـ وـلـذـلـكـ أـرـادـ ذـلـكـ المـخـتـلـ الـأـرـعـنـ بـشارـ أـنـ يـكـونـ مـيـدانـيـاـ فـيـ أـرـضـ خـرـابـ خـاوـيـةـ وـهـوـ يـحـاـوـلـ أـنـ يـثـبـتـ لـمـ حـوـلـهـ أـنـهـ قـدـ اـنـتـصـرـ وـأـنـهـ الـثـوـرـةـ حـيـنـ صـورـ نـفـسـهـ يـهـبـطـ بـطـائـرـتـهـ وـيـدـنـسـ تـرـابـ بـابـاـ عـمـرـوـ الطـاهـرـ .. وـهـنـاـ أـرـيدـ أـنـ ذـكـرـ الـإـخـوـةـ الـذـيـنـ يـتـسـأـلـوـنـ عـنـ بـقـاءـ الـثـوـرـاـ فـيـ حـارـاتـ حـمـصـ أـنـ النـظـامـ بـعـدـ بـابـاـ عـمـرـوـ مـبـاـشـرـةـ بـيـومـيـنـ أـوـ أـيـامـ قـلـيلـةـ كـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـكـمـلـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ حـمـصـ كـلـهـ وـأـرـيدـ أـنـ أـوـضـحـ لـهـؤـلـاءـ طـبـيـعـةـ حـمـصـ وـأـنـ حـوـالـيـ ثـلـثـاـ هـمـ مـنـ الـمـؤـيـدـيـنـ لـلـنـظـامـ .. وـأـنـ أـعـدـاـدـ كـبـيرـةـ مـنـهـمـ هـمـ شـبـيـحـةـ لـهـ .. وـأـنـ هـؤـلـاءـ الشـبـيـحـةـ لـنـ يـتـرـدـدـوـ فـيـ الـانتـقـامـ مـنـ أـهـلـ مـديـنـةـ حـمـصـ الـتـيـ صـمـدـتـ بـالـثـوـرـةـ وـحـافـظـتـ عـلـىـ شـعـلـتـهـاـ حـتـىـ كـانـ بـحـقـ هـيـ عـاصـمـةـ لـهـ .. وـلـذـلـكـ كـانـ الـخـطـةـ الـتـيـ نـهـجـهـاـ النـظـامـ بـعـدـ بـابـاـ عـمـرـوـ وـخـاصـةـ بـعـدـ أـنـ اـسـتـنـفـدـ وـقـتهاـ الـغـطـاءـ الدـوـلـيـ لـلـقـصـفـ وـالـتـدـمـيرـ وـحـربـ الصـوـارـيـخـ هـيـ أـنـ اـعـتـمـدـ عـلـىـ القـوـةـ الـإـجـرـامـيـةـ لـشـبـيـحـتـهـ فـتـوـالـتـ الـمـجـازـرـ وـالـمـذـاجـبـ .. وـكـانـ أـولـهـاـ مـجـازـرـ الـعـدوـيـةـ وـكـرـمـ الـزـيـتونـ وـكـانـ هـدـفـهـ مـنـهـاـ وـاـضـحـاـ لـأـهـلـ حـمـصـ أـنـ يـرـيدـ أـنـ يـبـثـ الـرـعـبـ فـيـ أـهـالـيـ تـلـكـ الـحـارـاتـ الـتـيـ كـانـ مـلـاـصـقـةـ لـحـارـاتـ الشـبـيـحـةـ وـالـتـيـ لـمـ تـكـنـ تـمـلـكـ مـنـ القـوـةـ الـكـافـيـةـ لـلـصـمـودـ بـسـبـبـ مـحاـصـرـةـ الشـبـيـحـةـ لـهـاـ وـقـرـبـهـمـ مـنـهـا .. وـلـقـدـ كـانـ هـدـفـهـ مـنـ بـثـ ذـلـكـ الرـعـبـ هـوـ هـرـوبـ الـحـاضـنـةـ الشـعـبـيـةـ لـلـمـسـلـحـيـنـ وـنـزـوـحـهـمـ خـوفـاـ مـنـ تـكـرـارـ الـمـجـازـرـ .. وـهـوـ فـعـلـاـ مـاـ حـدـثـ بـعـدـ أـنـ اـنـتـشـرـتـ صـورـ نـبـحـ الأـطـفالـ فـيـ كـرـمـ الـزـيـتونـ وـالـعـدوـيـةـ فـنـزـحـ الـأـهـالـيـ إـلـىـ الـحـارـاتـ الـأـخـرـىـ خـوفـاـ مـنـ الشـبـيـحـةـ وـبـقـيـ مـسـلـحـونـ وـبـعـضـ الـجـيـشـ الـحـرـ يـدـافـعـونـ عـنـ تـلـكـ الـحـارـاتـ إـلـاـ أـنـ لـمـ يـكـنـ الصـمـودـ طـوـيـلـاـ بـسـبـبـ قـوـةـ تـداـخـلـ تـلـكـ الـحـارـاتـ مـعـ حـارـاتـ الشـبـيـحـةـ عـلـىـ خـطـ طـوـيـلـ لـاـ يـسـهـلـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ الشـبـيـحـةـ الـاقـتـارـابـ يـدـأـ بـأـسـلـوبـ الـخـدـاعـ مـعـ تـلـكـ الـجـنـدـلـيـ وـأـمـثـالـهـاـ .. حـتـىـ إـذـ اـقـتـرـبـ وـيـدـأـ يـحـيـطـ بـقـلـبـ الـمـدـيـنـةـ حـيـثـ يـصـعـبـ عـلـىـ الشـبـيـحـةـ الـاقـتـارـابـ يـدـأـ بـأـسـلـوبـ الـخـدـاعـ مـعـ تـلـكـ الـحـارـاتـ .. وـكـانـ أـولـهـاـ بـابـ السـبـاعـ حـيـثـ أـرـسـلـ لـلـوـجـهـاءـ أـنـهـ يـرـيدـ الدـخـولـ إـلـىـ بـابـ السـبـاعـ لـمـ جـرـدـ الـتـفـيـشـ فـقـطـ وـصـرـحـ لـهـمـ طـلـبـهـ مـنـ الـمـسـلـحـيـنـ الـاـنـسـحـابـ لـيـدـخـلـ إـلـىـ بـابـ السـبـاعـ فـيـفـتـشـ تـفـيـشـاـ شـكـلـيـاـ كـمـ قـالـ ثـمـ يـعـودـ أـدـرـاجـهـ .. وـلـمـ تـكـنـ تـلـكـ الـأـسـالـيـبـ الـمـاـكـرـةـ تـنـطـويـ عـلـىـ الـثـوـرـاـ .. وـكـانـ بـابـ السـبـاعـ حـيـنـهاـ تـعـجـ بـالـنـازـحـيـنـ .. فـتـشـاـوـرـوـ بـيـنـهـمـ وـتـبـيـنـ لـهـمـ أـنـ النـظـامـ يـرـيدـ أـنـ يـقـتـحـمـ بـابـ السـبـاعـ لـيـصـلـ مـباـشـرـةـ إـلـىـ حـدـودـ حـمـصـ الـقـدـيمـةـ وـيـطـبـقـ الـحـصـارـ عـلـيـهـاـ فـتـجـاهـلـوـاـ طـلـبـ النـظـامـ مـنـهـمـ بـالـسـمـاحـ لـهـ بـالـدـخـولـ .. وـبـدـأـتـ قـذـائـفـ الـهـاـوـنـ تـنـسـاقـطـ وـسـارـعـ النـاسـ إـلـىـ النـزـوحـ وـبـدـأـتـ مـعـرـكـةـ بـابـ السـبـاعـ الـتـيـ لـمـ تـنـلـ إـلـاـ أـيـامـ وـذـلـكـ لـصـفـ الـحـارـةـ وـاسـتـخـدـامـ الـتـيـ 72ـ فـيـ الـقـصـفـ وـالـتـدـمـيرـ وـالـاقـتـحـامـ وـلـمـ يـكـنـ وـقـتهاـ بـيـنـ أـيـديـ الـثـوـرـاـ مـضـادـاتـ لـمـلـ تـلـكـ الدـرـوـعـ

ما اضطر الثوار للانسحاب إلى داخل حمص القديمة .. وما حدث في باب السبع حدث في القرابيص وجورة الشياح والقصور إلا أن تلك المناطق كانت واسعة وبعيدة عن الشبيحة فأصر ثوارها على الصمود حماية وظهراً لقلب حمص ودفعوا ثمن ذلك نزوحاً ودماراً كبيراً .. وبقيت حمص حتى اليوم على عهدها ترسم حروف الصمود وتحافظ على القلب النابض للثورة رغم توقف قلوب مئات من أبنائها عن النبض وارتحالهم إلى دار البقاء. لقد ركز النظام معظم وحشيته على حمص وتحدى أبناءها بما لديه من مختلف أنواع الإجرام والعنف لأنه يعلم أنه لو قضى على حمص وأسقطها فسيكون لذلك وزن كبير عنده وعند شبيحته في الداخل والخارج، ولذلك كانت حمص إحدى أهم محاور حديثه مع لا فروف عندما استقبله في دمشق. لكن ثوار حمص وثوار المحافظات الأخرى كانوا ينظرون بتعجب إلى دمشق وهم أسفون حزاني على أن كل ما يبذلونه سيذهب هدراً إن لم تقم دمشق معقل النظام ورموزه .. كانوا يعلمون أن معركتهم لا تنهي المظاهرات ولا المليونيات لأنها ليست معركة مع عقلاً إنما هي مع مجاني وشبيحة ورأس سفيه أحمق لهم لا تزيحه إلا القوة ولو توقفت سوريا كلها عن الحياة .. إن ثوار حمص الذين قاموا بصنع ذلك السيناريyo هم متأكدون وعن تجربة أنهم لو انسحبوا كانت خسائرهم أكبر بكثير مما حصل من الدمار الذي يرونـهاليوم... وما تلك الحرارات التي تزج أهلـها عنها من شهر وهي خاوية عنـهم بعيدـ، حيث لم يسمحـ النظام لأحدـ من أصحابـها أن يعودـ إليها بل اعتـقلـ وقتلـ وذبحـ من يعودـونـ ويجلسـونـ في بيـوتـهمـ يـظـنـونـ الأمـانـ.. إنـهمـ علىـ يـقـيـنـ أنـ النـظـامـ يـرـيدـ أنـ يـعـيـدـهـ إـلـىـ بـيـوتـهـ بـيـدـيهـ وـعـلـىـ طـرـيقـتـهـ بـعـدـ أـنـ يـدـمـرـ مـاـ فـيـ قـلـوبـهـ وـيـغـسلـهـ مـنـ كـلـ مـعـانـيـ الثـورـةـ وـيـعـيـدـ إـلـيـهـ مـاـ كـانـ قـدـ صـبـهـ فـيـهـ مـنـ خـوفـ وـجـبـ وـإـذـلـالـ .. إنـ هـذـاـ السـيـنـارـيـوـ أـيـهـاـ السـادـةـ كـمـاـ نـرـىـ قـدـ اـضـطـرـتـ إـلـيـهـ أـكـثـرـ المـحـافـظـاتـ وـالـبـلـادـاتـ فـيـ سـوـرـيـةـ وـلـقـدـ بـلـغـ الدـمـارـ مـاـ بـلـغـ لـيـسـ بـسـبـبـ الثـورـةـ .. فالـثـورـةـ حـافـظـتـ عـلـىـ سـلـمـيـتـهـ شـهـوـرـ طـوـيـلـةـ وـقـدـمـتـ آـلـافـ سـلـمـيـنـ مـنـ الشـهـدـاءـ بـلـ لأنـ ذـلـكـ النـظـامـ الـمـحـتـلـ هوـ نـظـامـ أـفـاكـ حـاقـدـ أـثـيـمـ لـاـ تـرـجـهـ الضـغـوطـ وـلـاـ جـمـيعـ مواـزـيـنـ السـيـاسـاتـ فـهـوـ أـحـمـقـ يـخـوضـ مـعـرـكـةـ مـصـيرـهـ وـلـنـ يـتـنـازـلـ عـنـهـ إـلـاـ حـيـنـاـ تـنـازـلـ رـوـحـهـ النـتـنـةـ عـنـ جـسـدـ الـخـبـيـثـ .. إنـ كـلـ ذـلـكـ الدـمـارـ الـذـيـ اـرـتـسـمـ عـلـىـ أـرـضـ سـوـرـيـةـ سـتـحـدـدـ دـمـشـقـ قـيـمـتـهـ حـيـنـاـ تـقـبـلـ بـهـ ثـمـنـاـ لـتـضـحـيـ بـهـدـوـئـهـ وـتـجـارـتـهـ وـبـعـضـ زـخـرـفـتـهـ وـتـنـالـ شـرـفـ إـزـالـةـ أـشـدـ الطـغـاةـ إـجـرـاماـ .. فـلـقـدـ وـصـلـتـ الـيـوـمـ الـكـرـةـ إـلـىـ دـمـشـقـ وـاقـرـبـتـ مـنـ الـهـدـفـ .. فـإـلـىـ مـزـيدـ مـنـ الـبـذـلـ وـالـتـضـحـيـةـ فـلـقـدـ قـارـبـ الـمـرـكـبـ عـلـىـ الغـرـقـ.. عـلـىـ أـهـلـ دـمـشـقـ الـيـوـمـ أـنـ يـصـبـرـوـ عـلـىـ أـصـوـاتـ الـقـذـائـفـ فـلـطـالـلـاـ حـكـيـ التـارـيـخـ عـنـ بـطـولـاتـهـ ضـدـ الطـغـاةـ وـعـنـ صـبـرـهـ عـنـ الـمـلـمـاتـ وـالـحـرـوبـ وـعـنـ شـهـامـتـهـ .. عـلـىـ أـنـ أـمـورـاـ ستـةـ ،ـ أـمـورـلـاـبـدـ أـنـ يـفـطـنـوـ لـهـاـ وـهـيـ :

تأمين المدنيين وحمايتـهمـ عندـ كلـ تصـعيدـ فيـ أيـ حـارـةـ وـتـأـمـينـ المـلاـجـئـ وـالـزادـ
وـالـأـمـرـ الثـانـيـ هوـ تـوـحـيدـ الـعـمـلـ الـعـسـكـريـ فيـ كـلـ الـعـاصـمـةـ فـإـنـ مـعـرـكـةـ الـعـاصـمـةـ لـاـ يـصـلـحـ مـعـهاـ أـيـ اـرـتـجـالـ.. وـلـاـ بـدـ مـنـ حـسـنـ
الـتـنـسـيقـ بـيـنـ كـلـ الـكـتـائـبـ وـسـدـ كـلـ الـثـغـورـ وـتـأـمـينـ طـرـقـ الـإـمـدادـ.

وـالـأـمـرـ الثـالـثـ هوـ قـطـعـ أـورـدـةـ الـحـيـاةـ الـتـجـارـيـةـ وـالـأـسـوـاقـ الـعـامـةـ وـالـعـصـيـانـ الـمـدـنـيـ مـهـمـاـ كـلـ الـثـمـنـ وـلـتـقـصـرـ كـلـ حـارـةـ عـلـىـ
مـحـلـاتـهـ وـبـعـضـ أـسـوـاقـهـ الـهـامـةـ.

وـالـأـمـرـ الرـابـعـ عدمـ التـركـيزـ عـلـىـ حـارـةـ وـاحـدةـ فـيـ دـمـشـقـ بـلـ مـحاـولةـ إـشـعالـ كـلـ حـارـاتـهـ وـذـلـكـ بـهـدـفـ إـنـهـاـكـ النـظـامـ وـاقـتسـامـ
الـضـغـوطـ بـيـنـ عـدـدـ مـنـ الـحـارـاتـ.

وـالـأـمـرـ الخـامـسـ وـهـوـ الصـمـودـ وـعـدـمـ التـوقـفـ فـهـيـ مـعـرـكـةـ نـهـاـيـةـ الـأـسـدـ وـيـجـبـ أـنـ لـاـ تـقـفـ أـوـ تـخـمـدـ حـتـىـ تـحـقـقـ غـايـتـهـ بـعـونـ اللـهـ
تعـالـىـ وـإـنـ طـالـتـ.

وـالـأـمـرـ السـادـسـ هوـ أـنـ عـلـيـهـ الـانتـباـهـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ مـؤـسـسـاتـنـاـ فـيـ دـمـشـقـ وـمـاـ فـيـهـ مـاـ يـجـبـ عـلـيـنـاـ حـمـاـيـتـهـ مـنـ أـوـلـئـكـ
الـسـارـقـينـ الـفـتـلـةـ الـذـيـنـ يـعـلـمـونـ عـلـىـ الـأـنـتـقاـمـ وـالـتـخـرـيبـ وـالـإـحـرـاقـ ..

إـنـ عـلـىـ دـمـشـقـ الـيـوـمـ أـنـ لـاـ تـجـزـعـ مـنـ حـمـصـ وـسـيـنـارـيـوـهـاتـ حـمـصـ فـإـنـ لـكـ مـاـ حـفـظـهـ وـمـاـ وـضـعـهـ وـمـاـ ضـرـورـاتـ لـكـ عـلـيـهـ

أيضاً أن تعلم أن المعركة في دمشق لا يمكن أن تتحقق بدون بعض الدمار والتضحيات والقذائف وإن حمص وأخواتها قد حملت على كاهلها الحجم الأكبر من الدمار فلم يبق لدمشق بإذن الله إلا القليل فعليها أن لا تتردد في بذل ما لا بد منه.

المصادر: